الشيخ جـلال الحنفي

رمضانيّات

و

شهر رمضان

١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م
بغـــداد

ثمن النسخة نصف دينار

بسم الله الرحمن الرحيم

حلقات يومية نشرت في جريدة الثورة أيام شهر رمضان ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م وقد آثرت نشرها مجتمعة في هذا الكراس بين يدي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩م ٠٠

الشيخ جلال الحنفي

جامع الخلفاء ببغداد

الشيخ جلال الحنفي

رمضانيّات

رمضان ظرف لا يسع غيره ..

هكذا قال الفقهاء في صفة شهر رمضان المبارك ، وقد بات قولهم هذا اوجز قول في الخصيصة الثابتة لهذا الشهر الميمون ، فما يظن ان قولا غيره يصلح ان يحل محله في وصف تلك الخصيصة على الوجه الذي يستوفي أنصباء التوفيق .

حقا ان رمضان شهر رائع الملامح ، فانه لتكاد تبدو أيامه ولياليه غير أيام الدهر وغير لياليه .. فما شمسه بذات شمسه التي كانت تطلع وتغرب في مشارق ومغارب سواه .. ولا كان صباحه كالذي علمت الناس في حياتها من صباح ، ولا مساؤه على نحو ما رأت من مساء .. ان كل اولئك كأنما خلق خصيصاً ليكون من خصائص رمضان لاغير ..

ان لرمضان في الآناف شميماً هو فوق جميع ما ركبت مصانع العطر من عطور ، وفوق ما استنبت زراع الحدائق والجنائن من أزهار ومن ورود ..

وان لرمضان في الاذواق نكهة لاعهد للاذواق بمثلها في شيء وصل الى مذاقها من مذاقات .. وان لرمضان من الالوان ما لم تحتجنه ألوان الطيف الشمسي منذ خلق الله النيرين العظيمين .

ان شهر رمضان حقاً ظرف لا يسعه غيره فهو لا يتقمص شهراً سواه ولا سواه يتقمص شهراً مثله .. انه وان كان يأخذ من الدهر مساحة شهر واحد لا يزيد عليه يوماً واحدا فهو يكاد يكون عدل الدهر كله بفعل ما اودع الله في ذرات الزمن فيه من نعم لا تحصى ومن بركات لا تستقصى فمرحباً بك ياشهر الله بين عباد الله .

النعبير بلغة الضمير ..

كثيرا ما تعجز لغة الافواه الناطقة ان تعبر عن كل حاجات النفوس .. اذ إنّ التعامل بلغة الالفاظ المنطوقة التي تتعلمها من المعاجم على فرط قدرتها التعبيرية قاصرة عن اداء كل مايطلب منها اداؤه في عالم الخلجات والحركات والسكنات ..

وقد كان نقل معنى الجوع ـ منطوقاً ومفهوماً ـ الى عالم المتخنين بالتخمة واحداً مما استعصى على اللغة المعدّة للتخاطب بين الناس ..

ان الشعر وهو من ارقى اساليب التعبير قد ظل يلهج بوصف لذعات الجوع وسعار الخصاصة دهراً طويلا فما امكن له ان يرسم للجوع صورة مكتملة الملامح في اذهان القابعين على موائد الطعام .. حتى اذا كان الصوم فاذا به وحده يتحدث بواقع الجوع بلغة استوعبتها الاذهان قبل الآذان ..

اجل لقد كان ميسوراً على فريضة الصوم المفروضة على المؤمنين ان تمسك بالجوارح المنطلقة في عالم الشبع والشهوات من أسماع وأبصار وغرائز وأمعاء ، فتقصّ عليها قصة الجوع والجياع ،، والمدقعين والادقاع ، بما لا يحتاج الى مزيد بيان ..

كلمة في النظام واللانظام ..

يتمنى الانسان ــ لو استطاع ــ ان يعيش في الحياة منطلقاً حراً بعيداً عن كل قيد وشرط ، . فان كان لابد من قاعدة او نظام فليكن هو وحده على ما يرى واضع تلك القاعدة أو ذاك النظام ليتسنى له الغنم دائما دون الآخرين ..

ان الاستمساك بالنظام العام « الذي يحدد رغبات النفوس ويقصر من شهواتها ويضمن المساواة بين الناس » يعد عبئاً ثقيلاً على النفوس التي تكفر بقواعد العدل الاجتماعي وتتهرب من الاعتراف بحق الغير في الحياة ..

لاجرم ان فراغ الارض من نظام توزن بمعاييره تصرفات الناس يؤدي بالارض ومن عليها الى فساد عريض ، وبقيم الحياة الى اضمحلال ذريع ، وبهذا الوجود العظيم الى فناء مستديم ..

فلابد اذن من نظام .. ولابد اذن من ترويض النفوس على تقبل هذا النظام ..

ان النفوس اذا اعتادت النظام وتعاونت على تثبيت اصوله واسسه أمن كل انسان على نفسه ووثق كل فرد بمستقبله وعرفت كل نفس مالها وما عليها .

لقد كان الصوم عاملاً كبير الفعالية في ترويض النفوس على النظام وتحبيبه اليها وكبح جماح الانطلاق العارم منها واقتلاع اضراس التمرد من فيها ..

اكتشاف اعماق النفس ..

حين يدعى المرء الى القيام بعمل من الاعمال الشاقة ، أو حين يضطر الى قطع مسافة طويلة سيرا على الاقدام ــ مثلا ــ فانه

يتبرم من ذلك كثيرا ، ويستشعر الضيق والعنـاء والعجـز لاول وهلـة ..

حتى اذا قارف عمله او واصل سيره استطاع ان يكتشف في نفسه استعداداً ظاهراً لم يكن يعهده في نفسه من قبل هذا . فاذا هو قادر غير عاجز ، ونابه غـير خامل ، فان كان لابـدّ من عمل شاق آخر يعرض له ، بادره دون تلكؤ ، وتعجّل فيه دون تباطؤ ، ذلك لان التجربة الاولى يسـرت له ان يكتشـف في نفسـه من الاستعداد والقدرة مالم يكن يدركه فيها من قبل .. كذلـك الصيام ، فانه لتتصوره النفوس اشد ثقلاً عليها من كل شيء ثقيل، ويكاد الصائم غير المتمرن ولا الواثق من قدرته ، يجزم كل الجزم انه سيضطر الى الافطار من اول النهار خوفاً على نفسه وجزعاً على صحتـه ..

الاّ انه لايلبث ـ بعد المضيّ في التجربة الجديدة ـ أن يدرك ان النفس البشرية لها من الخصائص والقابليات الجبارة ما تملـك به الاستجابة لثقال التكاليف والأعباء .

لقاح الارادة ..

يشكو كثيرون من الناس ما يتحكم فيهم من العادات الضارة التي لايجدون في انفسهم قدرة على مقاومتها .. ان هؤلاء لفي أمسّ الحاجة الى درس يتلقونه على رحلة الصيام ..

ان ضعف الارادة معناه ان النفس تشعر بضرر عادة مـن العادات المتحكمة فيها فتحاول التخلص منها ولكنها تعجز عـن التخلص منهـا ..

اما الصيام فانه يركز قوة الارادة في النفوس بحيث لاتستطيع عادة ان تستقر في النفس اذا كرهتها النفس ولا تملك خصلة من الخصال السيئة الضارة ان تكون ذات سلطان على الانسان اذا مقتها الانسان ..

ان المعادلة التي توضع امام الانسان انما تتألف حروفها من حروف الارادة لا غير فاذا تألفت حروف هذه المعادلة من العجز واليأس والتخاذل والانصياع المطلق للعادات اتجه معناها الى شيء آخر غير الانسان .

فالى اللقاح الذي يخلق الارادة في النفس ويقوّيها ويغذيها فيها ندعو ضعفاء الارادة من الناس وفاقديها وهم كثر هنا وهناك وفي كل مكان .

الا وهو الصيام وكفى به لقاحاً نافعاً وعقّاراً ناجعا .. ؟

الصوم والصبر ..

نسبة الشقاء الى السعادة ــ في تركيب الحياة ــ نسبة عاليةجداً في واقع حياة الكثرة الكاثرة من الاحياء .. فاذا لم تكن تلقاء ذلك همم صامدة وعزائم كبار كانت الحياة نفسها عبئا ثقيلا من الاعباء الثقال .

والذين يوفقون لاحراز المغانم الكبرى في الحياة فبفضل الصبر على ابر النحل ذلك الصبر الذي هو قارب النجاة في جميع الملمات .

اما الذين يسخطون على الحياة من اجل انها لا تستجيب لطلباتهم العادلة فانهم يجهلون ان اقتراع الحياة لا يتيسّر الا لذوي العزم والصبر ومستديم القراع ..

ان الصوم ليعتبر من اهم العوامل المساعدة على تركيز الصبر في النفوس التي يهددها الجزع والتخاذل والانهيار .

الصوم ورباطة الجاش ..

حين يكون الانسان بين يدي حادث يتوقعه او موعد ينتظره يستوي في ذلك ان يكون ما يتوقعه وينتظره سارا او محزنا ـ فانه يتلبس بحالة من الجزع تكاد تنقطع لها نياط قلبه .. على ان تعرض الانسان للمتوقعات والمفاجات امر بديهي معتاد ..

ولذلك لابدّ من علاج يصون النفس ان تذهب ضحية هذا النمط من الجزع المهلك انه لا شيء مثل الصوم من علاج حاسم لهذه العلة المروعة ، فانه يمنح النفس من رباطة الجأش بين يدي الاحداث ما لايتهيأ لها ان تحصل عليه بأية وسيلة اخرى ..

ان الصائم حين يرتقب موعد الافطار إذ تغرب الشمس يكون على اشد حالات الجزع فلا تهدأ نفسه الاّ حين تنطمس الشمس وراء الافق البعيد ..

اللحظات اليسيرة بين يدي الموعد المحدد للافطار تعتبر ساعاتٍ طوالاً في مقياس النفوس الجزعة ، ولقد كان يقال في الحكم القديمة ان الانتظار اشد من القتل ..

ولذلك كان تكرار انتظار الصائمين غروب شمسهم عاملاً مهمّاً في تخفيف حدة الجزع في نفوسهم بحيث يتأتّى من تكراره خلق مناعة تدرأ عنهم كثيراً من حالات الجزع اذا طرأ شيء من دواعيه على حياتهم .

ففي اية حالة من حالات الانتظار والترقب التي ترتبك فيها

النفوس يتمتع الصــائم دائماً بأكبر قسط من رباطة الجأش وذلك بفضل ماكان قد عاناه خلال صيامه من قسوة الانتظار الطويل •

التشاؤم والتفاؤل ••

اذا ساد التشاؤم في نفس حطمها بسرعة متناهية السرعة •• والتخلص من نزغ التشاؤم مسألة تحتاج الى مران طويل ، اذ لايكافح التشاؤم الا بقوى هائلة من الاعتماد علــى النفس ، والثقة بالمستقبل ، والتفاؤل في الحياة ••

ومن مآثر الصيام في تاريخ الاصلاح الاجتماعي انه يمنـــح النفوس المتشائمة جرعا كبيرة من القدرة على التفاؤل ••

فالصائم يقلق كثيرا لانغماره في نهار طويل لايحسبه سينتهي بسهولة •• ولكن الذي يحصل ان هذا النهار ســـرعان ما ينتهي ويقبل على الصائم الليل الذي لاصيام فيه •• وآنذاك يكون مــن حقه عندئذ ان يفطر بملء فمـــه ••

ان تكرار هذا المنهج اليومي خلال ظروف الصيام المتجـددة يلقي في نفس الصائم استعدادا عظيما للتفاؤل ، فاذا به يعتنق الثقة المطلقة بأن امد الافطار آت لاريب فيه مهما طال النهار ، وان الشمس ستغرب في وقتها المعين ، وان كل شيء سيكون في متناول يده ••

بذلك يتهيأ للمصابين بالتشاؤم والقلق النفســي ان يعتادوا التفاؤل في حياتهم العملية باستمرار •

« لعلّ » في ايات الصيام ••

تكرر في أيــات الصيام الخمس ورود (لعل) •• ففي الآية الاولى (لعلكم تتقون) وفي الثالثة (ولعلكم تشكرون) وفي الرابعة (لعلهم يرشدون) وفي الخامسة (لعلهم يتقون) ••

(ولعلّ) التي هي عند اهل المعاني للترجي معناها هنا للتأهيل والجدارة ، أي ان ما ختم بلعل يشار به الى انه امر مؤهّل للتقريب الى التقوى في الاولى والحمل على الشكر في الثالثة والتوصل الى الرشاد في الرابعة ..

وذلك ان الترجّي انما يُترجّى في المخاطَبين وغيرهم من الأشخاص ممن يدور القول عليهم اذ يفسر ذلك في هذا التأويل بأن النصوص والاحكام قد اريد بها اصلاح احوالهم وتطبيعهم بما يراد تطبيعهم به .. فأن فسرت (لعل) بالترجي صار ذلك في معنى التحضيض وليس الامر كذلك .. بل ان الامر ينصب بلعل هذه على توضيح شأن الحكم وغايته التي أُريد إفراغها في النفوس ورسمها امام البصائر فكانت (لعل) ــ هذه ــ اكثر افصاحا عن هذا المعنى ان جعلناها للتأهيل المرتبط بطبيعة الموعظة دون الموعوظين، والمتصل بذات الافعال دون الجهات المخاطبة بذلك ..

ومن هذا التحليل الواقعي للصوم يتجلى ان (لعل) ــ هنا ــ لم ترد للترجي ولاللاستجداء ولا توقع تقوى أناس وشكرهم ورشادهم او عدم توقع ذلك ولغة القرآن ابدا على هذا النهج والمنحى ..

الصدق مع النفس ..

لا اعلم شيئا من الصدق مع النفس يبلغ الحد الذي يبلغه صدق الصائم مع نفسه .. فأن صدقه هذا تتبين معالمه الاولى من اول حرف ينطقه في عقد نية الصيام التي ينطقها وهو يبيّت الصيام ليوم غده في بعض ساعات ليله او بين يدي الفجر ، حتى تغرب شمس يومه الذي نوى صومه ..

هذا الصوم قد يكون في ايـام شديدة الحــر ــ لا كأيام صومنا المعتدلة ــ والايام الشديدة الحر هي كذلك وفق قانــون الطبيعة ، تكون من طوال الايام ، ويكون العمل فيها مما ينهــك القوى ويكثف العناء ويشعر بالتعب غير اليسير ، اضافة الى لهاث العطش والرغبة في التبرد .

ولكن الصائم قال كلمته منذ الليل وهو يعني بها مـا يعنيه كل ناو صياما يريد به طاعة الله والاخلاص في عبادته .

اجل لقد قال كلمة لم يسمعها من احد سواه ، ولكنه وقــد يكون مع الطيبات من الرزق أو تكون الطيبات من الرزق معــه يأبى الا ان يحترم كلمته ويصدق مع نفسه ، فما تنشىء فيه المغريات كلها شهية الى طعام وشراب ، ولا تثبط من عزمه على اجتياز يوم الصوم جميع ثقال المثبطات ، وقد لا يكون ذلك بفعل الخوف من حساب وعقاب بسبب ما يغلب على ظن المؤمن من سعة رحمة الله وعظم غفرانه ولكن ذلك انما يكون بفعل الصدق مــع النفس .. والصدق مع النفس من اغلى ما يكسبه في حياته ذو نفس انصفهـا صاحبها وانصفته .

عبادة الجوارح ..

ما من جارحة في الجسم الا ّ ترى ماضية في شد ازر جارحــة اخرى ، حملاً لها على الصبر وتثبيتاً لها على الالتزام بشرف النية التي عقدها الصائم منذ اول الليل على ان يصوم يوم غده ..

وذاك ان الصوم حالة عبادة مستديمة متصلة الحلقات تبدأ منذ بدء ضوء الفجر وتنتهي عند غروب شمس ذلــك النهار ... وان مــن شأن عبادة الصوم ان يشتد ثقلها على الصائم كلما انصـرم

عليه من يومه بعض الوقت اذ يثقل عليه العبء ويشتد الامر ويبدأ يشعر بالحاجة الى عون من داخل نفسه اذ لايجده من خارجها ..

ان الصلاة ركعات معدودات كلما أتمّ المصلي منها ركعة خفّ عليه حملها وان الحج اعمال وحركات محدودة كلما ادى منها الحاج جزءاً علم ان ما بقي من اجزائها قليل ..

وحين يقارب على النهاية يستطيع ان يأخذ نصيبه من الراحة والاستجمام ، . اما الصوم فليس كذلك ..

وعلى هذا لا يعدو الصوم عملا خاصا بالأمعاء والمعدة أو بمواقع في الجسم لايتعداها.. وانما هو صوم الجسم كله بسائر جوارحه واجزائه ومايدخل في شعوره ومايدخل في لاشعوره ، انه عمل تعبدي رهيب يشترك فيه القلب والعقل والنفس وسائر الجوارح أي انه عبادة الجوارح كلها ..

الحمد لله ..

من محمود الادب لدى ذوي الديانات ان يردّوا كل رزق متحصل بجهد شخصي الى فضل من الله .. وكل كسب مكتسب يصل اليه الساعي في عالم المال والعلم وسائر مطامح الحياة الى عون من الله وكل ظفر في حرب ، وغلبة على عدوّ الى نصر من الله .. وكل تخلص من مهلكة وشفاء من مرض ، ونجاة من موت محقق الى لطف من اللـــــه ..

هذا الادب الحسن يقضي على كل جذر للغرور في النفس ، فأن الغرور يسوق الى العجرفة والمخيلة وانكار كل فضل لكل ذي فضل ، وكل عون لكل ذي عـــون .

ان الخالق العظيم هو رب كل امر عظيم ، وهو الغافر لكـل

ذنب عظيم ، وهو الهادي الى كل خير عظيم ، ففي حمده عرفان فضل ، وشكران جميل . ورعاية نعمة ، وهو ادب ان اعتادته النفوس ظهر على ضوء اعتيادها هذا من صدق التعامل وحسن الجزاء ما ترتضيه الآداب وتهشّ له المروءة .

اننا نستمع الى البيانات العسكرية العراقية في مواجهة الغزو الايراني فنراها تبدأ القول بحمد الله ، وتختمه بشكران الله ، والاعتراف بفضل الله ، ورجاء نصر الله .

ان خيمة اللطف الآلهي العظيم لتتسع حينا بعد حين على قيادتنا وجيشنا وامتنا وبلادنا ، فما تواضع متواضع الا رفعه الله ولا شكر شاكر الا زاده الله .

فالحمد لله على عظيم نعماء الله ، والحمد لله على عظيم نصر الله .

التولي يوم الزحف ..

في الحديث النبوي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » فلما سئل الرسول « ماهنّ » عدّ منهن التولي يوم الزحف ..

حقا ان التولي يوم الزحف لجدير ان يعدّ من الموبقات الكبار ، ومن الجرائر الثقال ، فأنه يمكن للعدو في الارض ، ويعينه على ما يريد من اجتياح البلد الذي جيش جيشه لاجتياحه ، ويضعف قوة الامة المغزوة ويعجل انهيارها ويحبط جهود قادتها في حمايتها .

ومن هنا كان التولي يوم الزحف خيانة صلعاء لاتجد لها سبيلا الى عفو الله لان الله لايهدي كيد الخائنين .

على ان التولي يوم الزحف لايحقق لمن يتولاه شيئاً من حقن دمه وادامة حياته وصرف اسباب النكبة عنه •• فأنه ان فرّ من جبهة الحرب فأمكن للعدوّ ان يستولي على بلده والفساد فيه وهتك الاعراض والتقتيل فأن الفارّ من الزحف سيكون من بعض من ينالهم العدو بذلك •

واذا سردنا تلك السبع الموبقات وجدنا ان احصاء التولي من الزحف في جمهرتها يدل على التقاء هذه الخلة القبيحة بتلك الخلال بجامع القبح والضلالة والخزي المبين ، فمن تلك الموبقات الشرك بالله وقتل النفس وقذف المحصنات الغافلات واكل مال اليتيم ؟

القيام ••

هذه كلمة كثيرا ما ترد كلمة الصيام مقرونة بها ، اذ يقال — في بعض ما يقال — ان الله جعل صوم رمضان فرضا وجعل قيام ليله تطوعا ••

ان المراد بالقيام صلاة الرجل من جوف الليل يكثر منها ويحفل بها فيكون لليله من الفضائل مثل الذي لنهاره •• ويكون له من الاجر والمثوبة في هذا مثل الذي له من الاجر والمثوبة في ذاك، وفي الحديث النبوي « وصلاة الرجل من جوف الليل شعار الصالحين » ••

ان كلمة القيام جعلت في الاصطلاح اللغوي منذ صد الاسلام مرادا بها الصلاة حيثما اديت ، ومن هنا كان للصلاة مؤذن يؤذن لها ، وكان لها كذلك مقيم يقيم لها عند ادائها جماعة او على انفراد •

واقامة الصلاة واقامها — بكسر الهمزة في ذات المعنى — أي أداؤها •• و « المقيمي الصلاة » أي الذين يؤدونها •• والجذر

اللغوي والفقهي لهذا الحرف يرجع الى ان الصلاة حين شرعت ودعي المؤمنون الى ادائها ، كانت قياماً محضاً •• وهي كذلك يكـــون القيام فيها أطول ركن من أركانها اذ يعدّ وعاء القراءة فيها دون الأركان الأخرى التي لا قراءة فيها ••

ان صلاة الرجل في جوف الليل والناس نيام تعدّ صلاة لايتهم من يؤديها بالنفاق في ابراز نفسه في عداد المتقين الاخيار ، اذ لارياء في عمل يؤديه مؤديه بعيدا عن الآخرين ومن هنا كان لقيام الليل في رمضان خاصة شأن متمم لشأن الصيام فيه •

يأكل حشفاً يوم القيامة ••

في الحديث النبوي « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وقدعلق رجل قِنْوَ حشف فجعل يضربه بعصاه حتى تناثر على الارض ، وقال لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب مــــن هذا ان رب هذه الصدقة يأكل حشفا يوم القيامة •• » ••

الصدقة ان كانتِ من بعض ما يعطى من طعام للفقراء فانهـــا مشروط لصحتها ان تكون من طيبات الرزق لامن نفاياته فمـــن تصدق بما لا تستمرئه نفسه من مأكل ومشرب فهو آثم ولا اجر له في شيء مما أنفقه في هذا الوجه ••

وعلى هذا كان العطاء مالم يكن طيبا عملا محبطا للاجـــر لايزكيه الله بل انه يرده على المتصدق به ان جاز ان يقال له متصدق••

ووصف الله الكفارات التي فيها اطعام طعام بأنها يجب ان تكون من اوسط ما تطعم الناس اهليها •• أي مما ألفت الناس في بيوتهـا طبخه واستساغت اكلـه وضيفت ضيوفهـا به •• ألا ان

للانسان كرامة يجب ان تلاحظ في النفقات لئلا تمس كرامتـــــه بســـــوء ..

وما كانت الناس قد اعتادت اعطاءه للفقراء من خسيس الطعام عائد عليهم بما يزيد من آثامهم ويثقل من ذنوبهم في موازينهم يوم القيامة، اذ يمرّ في ذلك طعم الانسانية ولا يحلو، ويذلّ به ذو الحاجة ذلا ظاهرا ، حتى اذا شكر المنعم عليه بمثل هذه النعم الملفقة كـــان شكره شكرا كاذبا اذ انه في قرارة نفسه لايجد في خساسة الصدقة ما يستأهل من الشكر لا قلاّ ولا جلاّ ..

الكلمة الطيبة صدقة ..

في الحديث النبوي « الكلمة الطيبة صدقة » أي انها مـــن اعمال البر التي يكون لها من الوزن ما هو ثقيل ، ومن الاثر ماهو حميد ، ومن العطاء ما هو جزيل .. وقد نوه الله بأهمّيّة الكلمة الطيبة في كتابه العزيز اذ قال : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربهـــا » ..

من عطاء الكلمة الطيبة أنها تصلح بين الناس وترد الحقــوق الى اهلها بأقلّ الكلف وتنشــر الامان والطمأنينة في البيئات التي تشيع فيها ، وتحبب الســلام وتذيعه وتقلل الاندفاع الى الشــر ومقارفة الخصام .

وحين تكون الكلمة الطيبة منهجا منتهجا في امة من الامـــم فانها حتما امة هداها الله لحياة كريمة هانئة هادئة .

فاذا سلب الله ذلك امة من الامم كثر فيها اللغط وشاع الجدل وعظمت الفتنة واستشرى الخلاف لانها ستفتك فيها الكلمة الخبيثة

ويعصف بها الجدل العقيم ، ويطغى عليها النزاع الذي اهلك كثيرا من الامم من قبل ..

الصورة القلمية للمسلم ..

للاسلام ولمن يدين به ولغير الاسلام ولمن يدين به صورة قلمية تعد المثال النموذجي المتحرك لما يحمله صاحب دين من محاسن دينه .

وكان من عوامل انتشار الاسلام في آفاق العالم ـ يوم تحرك العرب المسلمون حركة الدعاية بين الناس بدعايته ـ عامل في غاية الاهمية وقوة التأثير والفاعلية الفاعلة في ضمائر الناس من ابناء الشعوب ذات الانتماء القومي غير العربي .. ذلك العامل هو حسن تصرف ولاة المسلمين في الاقاليم اذ كانوا على جانب عظيم من الصدق في حياتهم اليومية مما رأت الناس فيه الصورة القلمية الواضحة للدين الذي كان يمثله اولئك الولاة ومن معهم من العلماء واصحاب التجارة والاعمال وسائر الافراد .

ان غالب ما يدخل الشك في نفوس الناس ممن يراقبون سلوكيات اصحاب دين ما ، هو ما يسيء فيه اولئك الى دينهم في تصرفهم اليومي الظاهر للمراقبين والنقاد والخصوم وغير الخصوم وهو وان كان انحرافا عن الدين فانه ليحسب في نظر الذين لا يعلمون من الدين ..

وها نحن اولاء نرى في تصرف الذين يزعمون حمل راية الاسلام والدعوة الى اقامة معالمه ونشر تعاليمه ، من فقهاء ايران الذين يحكمون اليوم ايران ، ما يخزي الاسلام ويؤذي الحنيفية السمحة التي صارت الصورة القلمية للمسلم على ضوء دخانها

صورة كالحة مشوهة فان فقهاء ايران الضالين المضلين لوثــوا بأفاعيلهم السيئة سمعة الاسلام كل تلويث اذ ابرزوه دين فتك، ووحشية وعدوان لا حدود له ، وطيش وبغي في الارض ، وعنجهية وفساد عريض .

فاي الناس يروقه الانتماء الى الاسلام وهو يرى الدم فيه ارخص من الماء، والغي اولى من الهدى والجهل مقدما على الحلم.. وهو لا يرى الرجوع عن الخطا عندهم فضيلة بل ان الرجوع عنه هو الخطيئة في نظرهم .

اصلاح ذات البين ..

يعني هذا المصطلح العمل على ازالة ما بـين الناس مـن خصومات من شانها ان تفصم عرى العلاقات الحسنة بينهـم .. فلقد حرص الاسلام على ذلك حرصا مبالغا فيه ففي الحديـث النبوي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال في بعض وصايـاه « الا اخبرك بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قال بلى يا رسول الله .. قال اصلاح ذات البين .. » .

لعله من الامر الواضح في هذا النص النبوي الكريـم ان في اصلاح ذات البين في عقيدة الاسلام من القيمة التي لاتقوّم بقيمة أنّ النبي صلوات الله عليه رجحه على شعائر ذات وزن عظيم في ميزان الحنيفية السمحة .. ذلك لان في فساد ذات البين واختلاف الامة ودبيب الشقاق في اوساطها ما يجـرّ الى أشأم النتائج وأوخـم العواقب ..

ومن اجل ذلك دعا الاسلام الى اخذ المرجفين والسـعاة في

الفتنة بكل شدة وصرامة لان شر هؤلاء عميم ومصيبة الامة فيهم مصيبة ذريعة .

ان اجتثاث جذور الفتنة من المجتمع والسعي في جمع كلمة الامة ولمّ ما تبعثر من رأيها ليعدّ من اقرب القربات عند الله ورسوله .. وان اثارة العداوة والبغضاء بين الناس من اخزى الاعمال وانكر المنكرات التي تسخط الله ورسوله والمؤمنين .

الصدقة والخطيئة ..

في الحديث النبوي « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » .

لقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الصدقة بانها تطفىء الخطيئة اذ مثل لها بالماء الذي يطفىء النار ، وهذا التمثيل وحده خير شارح لحقيقة الصدقة وخير مفسر لفحواها ومحتواها .

ان للصدقة من التأثير في الخطايا مثل الذي للماء حين تسقى به النار ، فانه يطفئها ولا يذر لها لا ضياءا ولا حرارة ولا لهبا ولا عينا ولا اثرا .. والخطيئة هي النار بعينها والصدقة ازاءها هي الماء بعينه ..

وكما ان النار تشوه حقائق الاشياء وتلعب بمحاسنها وتذرها رمادا لاقيمة له فكذلك تشوه الخطيئة محاسن الرجال وتقضي على مكارم الخصال .. وعلى هذا جاء تشبيهها بالنار .. واما تشبيه الصدقة بالماء فان الماء فوق كونه يقضي على شر النار ويخمد اوارها ويسكت لسان لهبها ، فانه يكتسح ـ كذلك ماتتركه من رماد وقتام .

فالصدقة باب من ابواب الخير والمروءة وكيف لا تكون

كذلك وهي تحمل شعار المعونة للضعفاء والمواساة للمكلومين والرأفة بالبائسين مضافا ذلك الى واسع معنى الصدقة اذ إنها تطلق على كل نمط من انماط البر وكل خصلة من خصال المعروف ..

حدود الله ..

قال الله تعالى « تلك حدود الله فلا تعتدوها » .. المراد بحدود الله ما فرضه من الفرائض ، وما حرمه من المحرمات .. وما رسمه من شعائر الدين فلا يجوز تجاوز ذلك وتخطيه والاستهانة بخرقه واهمال الالتزام به ..

وفي القرآن الكريم في التوكيد على هذا المعنى « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » ومثل ذلك « ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون » ..

وامتدح الله الذين يحافظون على حدوده في مثل قوله في النص القرآني « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ... ».

وجعل الله معرفة حدوده من شأن اهل العلم والنّهى فقد جاء في النص الكريم « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » وجعل من لا يعلم من العلم شيئا أجدر ان لا يعلم حدود ما انزل الله ..

ان حدود الله هي جماع شريعة الله من خير وعدل واحسان وعبادة وتقوى وامر بالمعروف ونهي عن المنكر ..

ولا تَقفُ ما ليس لك به علم ..

في التنزيل العزيز : « ولا تَقفُ ما ليس لك به علم ان السمع

والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً » .

تضمن هذا النص القرآني التنويه بأدب من الاداب المحمودة الكريمة وعظة من العظات الرشيدة .. فما كان شيء من اعمال الناس اضر على الناس من عدم التثبت في الحكم على امر من الامور ، ولا كان اجهل من ان يترك احد لسمعه وبصره وفؤاده عنان التصرف من غير هدى ولا بينة ، فأن هذه الاسماع والابصار والافئدة مسؤول عنها يوم القيامة فيما تنهجه من نهج وتتصرفه من تصرف .

وهناك من الناس من يحسبون انهم قد جعلوا وكلاء على الناس وقيّمين على كل شأن من شؤونهم فهم يحمدون ويذمّون ويرضون ويسخطون ، لا على قاعدة من قواعد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن على ما في نفوسهم من هوى وما في طبعهم من لجاجة .

ان هذه الخلائق وهذه الخلال حين تسود في المجتمع تشغله عن توخي الحقائق وتلهيه بالجهل عن العلم وبالمفسدة عن المصلحة .

لذا ينبغي ان يؤدب النشء على الوقوف في كل أمر عند حده لئلا يجرفه تيار التدخل في ما لايعنيه الى هوة سحيقة من ايذاء نفسه وايذاء الناس ..

الاثم ..

في الحديث النبوي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « الاثم ماحاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس » ..

وما احسب قولاً من الاقوال جمع في صفة الاثم ما جمعه هذا الكلام النبوي من المعاني والمسائل .. انه ليس الا كلاماً ذا حروف،

ولكنه في الحقيقة صورة مصورة ذات معالم واسارير يتجلى فيها معنى الاثم بوضوح فكأن سامعه اذ يسمعه ينتقل في الحال الى راء يراه ..

ان ما يحوك في الصدر من غرض وما يجول بين الجوانح من حاجة يخشى صاحب ذلك الغرض ورب هذه الحاجة ان ينكشف منها شيء لا عن حياء بل عن ريبة لهي الريبة والاثم .. اما ما تطيب النفس عن نشره وافشاء خبره ، فهو ما لا اثم فيه ولا ريبة تعلق به ..

ومن النظر الى هذا الحديث النبوي وما اورده علماء البحوث النفسية والخلقية نرى بينهما انسجاما واتساقا ظاهرين .. فان من طبيعة الريبة ان تتغطى بكل غطاء ، وان من طبيعة الفضيلة انها لا يخيفها ان تظهر للناس جلية ناصعة لا تلتحف بلحاف ولا تدثر بدثار ..

ان لصاحب الحق مقالا ..

هذا حديث نبوي ظاهر ما يعنيه من معنى ، وواضح ما يقصد اليه من قصد ومن فحوى ..

فلقد قل على لسان صاحب حق قول الافك والافتراء والتلجلج في الطلب والتهيب من المقاضاة .. وذاك ان الحق هو الذي ينطق صاحبه فما يتلعثم في نطقه ، وهو الذي يحمله على المطالبة به فما يخيفه سلطان غاصب ..

صاحب الحق ليندفع في استخلاص حقه دون ان يدفعه اليه اغراء او يثبطه عنه مثبط ، وبديهي في تعليل هذا الكلام ان صاحب

الحق ينتزع جرأته وقوته من ثبوت حقه في ذمة محقوق ، وصدق استحقاقه لما اغتصبه غاصب وغمطه غامط •

ان صاحب الحق وقد يكون فقيرا او هزيلا او غير ذي لسان ناطق يملك جرأة المقاضاة واللجاجة فيها على مستوى من الحرص مشهود وان اوذي في ذلك ••

ومن هنا ترى الشعوب تقدم ما تقدم من التضحيات من اجل استرداد حق مغتصب وبلد منتهب وارض جار عليها جائر وذاك لانها صاحبة حق لها فيه مقال •

الا ما قد قيل للرسل من قبلك ••

قال الله تعالى : « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك »•

تلك هي السنة التشريعية التي سنها الله في بعث الانبياء وارسال الرسل وانزال الكتب وانشاء الديانات اذ جعل هناك جوامع جامعة يقوم عليها امر الشرائع جميعا •

غير ان فارق الزمن ما بعد منه وما قرب كان له دوره وله شأنه في الايجاز والاطناب والاطالة والاختصار ، رعاية لاستعدادات الامم ، ومسايرة لعقولها وتحقيقا لغاياتها ، فكان الفرق بين شريعة وشريعة يبرز في هذا الفلك ويظهر في هذا الحيز ••

اما الاصول العامة والركائز الاساسية فانها واحدة في هذه الديانات لا يفعل فيها الزمن فعله ، ومن ذلك وحدانية المعبود وحرمة محرمات لا يقع لها بحال من الاحوال ان تستباح وتنتهك الا عوقب مستبيحوها ومنتهكوها ، ومن بعض هذه الحرمات الدماء التي لا يجوز سفكها والنفوس التي لا يحل قتلها الا بحق

الله ومن ذلك هتك الاعراض وهدر الحقوق واكل اموال الناس بالباطل ، وما الى ذلك مما يعلم من الدين بالضرورة ٠

فهذا هو معنى قوله تعالى : « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » وليس هو النقل الحرفي لاحكام جاءت في الديانات القديمة من نمط ما يدخل في الجزئيات والتفاصيل ٠٠

ومن هنا ترى في الاسلام معالم يتميز بها ويعرف بها وتتحدد وفقها شخصيته وطبيعته المتفردة ٠

قل آمنت بالله ثم استقم ٠٠

في الحديث النبوي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في عظة وعظها : « قل آمنت بالله تعالى ثم استقم » ٠٠

الاستقامة تعني ملازمة محاسن الاعمال ومكارم الخصال والتمسك بسديد القول ورشيد الرأي ٠٠ ان الدعوة الى الاستقامة من بعض ما دعا اليه القرآن الكريم بصريح آيه « فاستقم كما امرت ومن تاب معك » وكذلك جاء النص بلفظ « واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم » مما يفهم به ان الحسن في الاستقامة حسن شرعي وعقلي ٠٠

والاستقامة من مفردات اللغة المعروف معناها وغاية لفظها ، ولكن النص القرآني بالحث عليها والدعوة اليها جاء مقرونا ببعض تفسيرها وتفصيل ما ترمز اليه من توجيه وعظة يعظ الله بها عباده فلقد جاء فيه « كما امرت ومن تاب معك » أي ان استقامتك التي أمرت بها استقامة توبة وصلاح حال ٠٠ والنص الاخر « كما امرت ولا تتبع اهواءهم » فهي هنا استقامة على سنن الهدى وصوى طريق الرشاد ٠٠

ولاتكون الاستقامة استقامة لا في اللغة ولا المصطلح الشرعي ان كانت على خلة غير كريمة وعمل غير صالح ..

وأمرت لأعدل بينكم ..

العدل اصل في الحكم ، وغاية في القضاء ، وحق للظالم وللمظلوم على سواء .. اذ إنّ العدل اعطاء كل ذي حق حقه ، وردّ كل امر الى نصابه ، ورفض كل ما فيه بغي على الناس ، واقرار كل ما فيه انصاف .

وكذلك كان العدل ميزانا لتصرف كل متفرغ للحكم موكول اليه اجراؤه وامضاؤه واقامة حدوده ، فأن المتفرغ للحكم بين الناس اولى بنصرة العدل ورعاية شأنه من سائر الناس ، وان كانت مسؤولية التفريط في العدل مسؤولية عالقة بكل عنق .

والقرآن الكريم يأمر من تكون بينهم عداوات مشتجرة وخصومات مشتدة ان يكونوا اكثر توخيا للعدل في حكمهم ان نيط بهم حكم يحكمونه في اعدائهم .. « ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى » أي لا يحملنكم كرهكم قوما على أن لا تحكموا لهم بحق يستحقونه ، وعلى هذا قامت السماوات والارض .

درجة الشهادة ...

الناس كلهم صائرون الى الموت ، وما من احد منهم بناج من هذا المصير . وما في الموت من تفاضل حتى قال اهل اللغة ان

افعل التفضيل لا تكون في هذا الحرف من كلامهم ، لانه حالة واحدة فيهم جميعا ... الا ان امر الشهيد امر عظيم في دنياه وفي آخرته فلقد اوضحت الشريعة انه حي عند ربه لـه رزقه ومكانه الذي يسعد به في عالمه ..

حقا ان ميتة الشهيد ميتة غالية ، متميزة بما لا تتميز بـه ميتة غيرها ، فأن الشهيد ليس في عرف الدين وحده هو الحي الخالد .. ولكنه هو كذلك الحي في عرف التأريخ وفي ذمة الامة التي انتصرت بشهادته ، واستقام عمودها بمصرعه ، واندحر عدوها باقدامه ..

فالشهيد كريم في دنيا الكرم ، وشهم في عالم الشهامة ، وحي غير هالك ، وغالب غير مغلوب .. اجل ان درجة الشهادة درجة عظيمة « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء » .

الشيخ جلال الحنفي

شهر رمضان

ثلاث عشرة حلقة نشرتها جريدة الجمهورية خلال النصف الأول

من رمضان عام ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م ..

شهر رمضان

لعلكم تتقون ..

قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» .

علة الصيام هنا كسب التقوى ، أي ان الصيام من بعض سبلها ، ومن بعض الطرق التي يسلك منها اليها ..

والتقوى لم تزل أمنية الأماني وغاية الغايات ، يوصف بها الكمّل من الناس، والخلّص من المقبلين على العبادات والطاعات.. وماتزال البشرية في سائر انحاء الدنيا تنظر الى من تحسبهم من الاتقياء من موتى واحياء نظرة تكريم وتمجيد لايضاهيهما تكريم وتمجيد ..

على ان الذي أراده الله في هذه التقوى هو أن تكون كائنة بمقياس الله الذي هو فوق كل مقياس من مقاييس الناس .. فلقد علم الله أن الصوم يؤهل أهله الى اكتساء شعار التقوى وادثار دثارها المضمخ من دفء المروءات بما لا يحتاج فيه لاصطلاء ..

وأن تصوموا خير لكم ..

قال الله تعالى «وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون» ..

المعنى ظاهر في هذا النص ، اذ يفهم فيه ترجيح الصوم وتفضيله على الافطار ان مالت النفوس اليه استثقالا وسأما وشعورا بالفراغ من القدرة على ادائه ..

والذي يبرز في جو النص القرآني مما يستأهل التوقف ابتغاء الاعتبار وقصد الادّكار ، انه ختم بكلمة ذات حافز غير غيبي، ولا إغرائي تلك هي كلمة « العلم » التي احتوتها الجملة القرآنية « إن كنتم تعلمون » ..

فأنها حقاً نقطة التقاء لاكثر من ملاحظة ترد على البال وتقترب من الذهن ، لتتفهم فلسفة فريضة تأمر الناس بممارسة الجوع القسري شهراً بجميع أيامه ..

الأمر الالهي هنا يتساوق مع الفهم الدقيق للفريضة المفروضة على أتباع الدين من المرتبقين بربقة الاخلاص في الطاعة .. فهم لو لجأوا الى ادوات العلم واسباب المعرفة واخذوا بهدب التمحيص العقلي والمنطقي لأدركوا ان الصوم الذي يصومون هو خير من الفطر الذي يفطرون. فالصائم إذَنْ[1] اذا اقبل على مقارفة الصوم أقبل عليه عن علم وليس عن جهل جهله او استغفال استغفله فانّ ردّ الأمر الى العلم ينفي وقوع التغرير فيه والاستغفال .

ولعلكم تشكرون ..

قال الله تعالى : « ولتُكْملوا العدّة ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

هذا بعض النص القرآني المنصوص على فريضة الصيام ، وقد ظهر الأمر فيه على وجوب اكمال عدة الشهر أيا كان حجم هذه العدة تسعة وعشرين يوما أم ثلاثين ؟ .

---

(١) « اذنْ » بالنون الظاهرة أصحّ من « اذاً » بالتنوين لأن الوقوف على تلك يكون بالنون وعلى هذه بالألف وهو خطأ ..

وأمرَ الله بتكبيره : تكبيرة عبادة وقنوت وطاعة ، فلقد كان حقا على العبد المؤمن ان يكبر الله تلقاء ما حباه من حباء الهدى الذي هو حباء لا يوازيه حباء ..

أما قوله تعالى «ولعلكم تشكرون» فان فيه اشارة الى جدارة ما حصل لعباده بهذه الشعيرة من خير عميم ، وبهذه الطاعة من سمو روحي عظيم بالشكر كلّ الشكر ..

ان الشكر انما ينبعث من الوجدان الذي تروضه على الشكر دواعي الشكر .. وان الامتنان للخير انما تحركه في الضمائر فعائل الخير ..

أفكان الله يشير الى مكان الشكر في هذا المكان من دون أن تتهيأ لذلك اسبابه ؟ اني لأرى ان الصائم اذا وفق لممارسة صومه ايام رمضان على الوجه الاكمل احس بقناعة تامة انه اصاب من فضل الله عليه ماهو قمين بالشكر اذ وجد ان فضل الله كان عليه عظيما .

فدية المطيقين ..

قال الله تعالى : (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له) .

الذين يطيقون الصوم أي يشعرون بالكلفة في ادائه ،وثقل العبء في النهوض به واحتماله ، فمثل هؤلاء جعل الله لهم فرجاً في أن لا يصوموا ، ببديل هو الفدية التي يؤدونها باطعام مسكين عن كل يوم اطعاماً لاشحّ فيه، فان طابت نفوسهم فيهذا الوجه فأطعموا اكثر من مسكين واحد في اليوم الواحد ، كان لهم في ذلك خير حمده الله لهم على حد الوصف القرآني ..

على ان الاطاقة المشعور بها لدى الصائمين انما تكون في حالات دون حالات ، اذ إنّ الصوم في أيام قائظة غيره في أيام شاتية، لذا كانت الاطاقة أي التكلف الشديد في الصوم نسبية اللهم الا اذا ألحق بهذا المصطلح من هناك من الطاعنين في السن والمرضى الذين لا رجاء لهم في البرء من مرضهم ..

اما سائر مرضى الناس فانهم أرجأتهم الشريعة الى أحايين الشفاء ، فاذا شفوا قضوا صوم ما كان قد فاتهم من أيام الافطار بسبب المرض .

وكلوا واشربوا ...

قال الله تعالى : «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر» .

هذا تصريح باباحة الاكل والشرب في الليل حتى الضوء الأول الذي يؤذن بطلوع الفجر ..

ولكن شيئا من هذا لا يعني البتة أن لا تبطل أفواه الآكلين عن أكلهم .. فان الامساك في النهار ليس لزاماً ولا حسناً في مواجهته ليلا أن ينقلب الى مضغ وقضم متصلين حتى أوان الفجر ...

ان من منافع الصوم وظاهر فوائده اراحة الامعاء خلال أمد من الوقت طويل هو وقت الصوم ، فاذا قوبل هذا بالانهماك في التقام اللقم ليلاً دون تصبّر كان الصائم قد أحسن لنفسه وبدنه في نهاره وأساء اليهما في ليله .. اذ اراحهما حيناً وأتعبهما حيناً آخر ، وليس الصوم هو هذا ..

ان قوله تعالى «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر» انما يعني ان الليل لا صوم لصائم فيه وهو يعني كذلك الوقت الذي لابد أن يتوقف فيه الصائم عن الطعام ليبدأ ممارسة صوم يوم جديد ٠

ومن هنا نوصي الصائمين ان يكون لهم في ليلهم بعض الزهد الذي يتمتعون به في نهارهم فذاك هو شأن الصوم ٠٠

كما كتب على الذين من قبلكم ٠٠

قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ٠٠» ٠

الاشارة الى ان الصيام كتب على الذين من قبلنا أي فرض عليهم لا يعني انه استنسخ عنهم طبق الأصل ، أي لا يعني انه هو ذات الصوم الذي صامه ذوو الاديان القديمة في خاليات الدهور ٠٠

وانما يعني ذلك ان الصوم من حيث هو طاعة لله عز وجل تنعقد على الكف عن الطعام والشراب كان معروفا في ديانات من سبقنا الى الحياة فوق هذه الارض ٠

اما التفاصيل فانها ليست هي هي ، ولا هي اياها اذ ان لكل جيل فهمه للأحكام واستيعابه للتكاليف وتذوقه للعبادات ٠٠

ولقد جاءت فريضة الصوم في الملة الحنيفية السمحة ذات دقائق وايجابيات واسرار مكثفة لم يعرف مثلها حين كتب الله الصوم على السلف السالف من المتدينين من البشر ٠٠

وذاك في التشريع بوجه عام مسألة طبيعية اذ كانت الامم القديمة في بدائيتها لاتطيق ماصارت تطيقه بعد تطور التكوين البشري وارتفاع

المستوى الذي انبسطت عليه العقول والالباب والاذواق والعواطف والاستعدادات .

دعوة الداع ..

قال الله تعالى : «واذا سألك عبادي عني فأني قريب ، أجيب دعــوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بــي ، لعلهم يرشدون» ..

هذا كلام تتوق نفوس الصائمين ان يصل الى اسماعهم مــن ربهم الذي يعبدونه ويصومون له .. فان نفوس الصائمين لترق كل الرقة وتنحف كل النحافة اذ تخبت لربها ماوسعها ذلك وتقنت له وتنصاع وتذل ..

وتلك حالة يكون جزاءها من رب العالمين الاستجابة التي يبرّ بها عباده فيسبغ عليهم نعمته ورضاه ، ويرفع عنهم بأسه وسخطه .

وان في دعاء العبد ربه دلالة على عمق الثقــة وشدة التعلق وقوة الرجاء ونفض اليد ممن سواه .. وهذا مايرضي الله ورسوله بما يكون فيه من صدق العبادة وسلامة العقيدة ، لذا جعــل الله استجابة الدعاء حقا لعباده عليه .

والسر هنا في آيــة النص هذه انهــا وردت في ضمن آيات الصيام اشعاراً بأن جوّ الصيام جوّ يُتقبّل الله فيه على رافعي أكف الدعاء اليه والضراعة ، بقبول دعائهم الذي لا تغلق دونه أبــواب السماء ، ولا يكون بينه وبين الله حجاب .

رعاية الجار ..

في الحديث النبوي أن امــرأة وصفت في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها، فقال عليه الصلاة والسلام : هي في النار ..

النصوص الاسلاميــة في موضوع رعاية الجــار ومعايشته بالحسنى كثيرة مستفيضة ، وهذا أحد الاحاديث النبوية الواردة في هذا المعنى .. وقد وضح به ان ايذاء الجار جناية لا تعدلها جناية اخرى وانه لسيئة تذهب بكل حسنة من صلاة وصيام وصدقة ..

أجل لقد كان أمر العناية بالجار من المروءات التي التزمها الناس من القديم ، وكــان أمر حماية الجــار وتفقده من الأعراف التي تواضعت عليها البشرية في تاريخها الطويل ..

وكان من فضل الاسلام على الانسانية انه حرص على مسألة الجوار هذه حرصا ظاهرا فأثبت لكل جار على جاره حقوقاً قائمة بغض النظر عن الاختلاف في الدين وطراز المعيشة الاجتماعية ..

الجار ايضا ..

في الحديث النبوي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » .

وفي هذا يضرب الاسلام الرقم القياسي في اعزاز الجار ورعاية شأنه .. ومعنى الحديث ظاهر فانه يومىء الى ان الجار في حكم القريب ، وان كان لانصيب له في انصبــاء الميراث علــى وجــه الفرض .. ولكنه له في الميراث نصيب في حكم الجيرة والمروءة ان كان في حاجة الى عون واغناء عن المسألة ..

ان الجار ليدري الكثير من امر جاره من نحو غناه وخصاصته

وفرحه وهمه ومرضه وبرئه ، وهذا مما يحمله على تفقد جاره ومواساته والاقبال عليه بكل تلطف وبشاشة ، فان لم يفعل فانه لآثم شر آثم ، وانه للئيم جد لئيم .

والجار ان لم يعن جاره ببعض مايملك من اسباب البر والمعونة فليكف عنه اذاه وليقصر في الاساءة اليه وليمسك عنه يده ولسانه ، فانه لظلم مبين ان لا يأمن جار بوائق جاره ، وانه لبغي عظيم ان ينشغل جار بصد اذى جاره ودرء عدوانه عليه .

حقيقة الأيمان ...

في الحديث النبوي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وأن ما اخطاه لم يكن ليصيبه » .

في هذه الكلمة الجامعة تحديد لحقيقة الايمان وعرض مبسط لطبيعته ، فالايمان بمقتضى هذا التحديد والعرض يباين الجزع الذي يعلق بنفوس كثيرين من الناس يوم تصيبهم مصيبة من المصايب ..

ان الايمان يقتضي الرضا بما يجريه الله من مقادير في خلقه ، لأن قضاء الله لا حيلة لعبد في رده ، ولا قدرة على صرفه ودفعه .

ان النفوس المؤمنة لتطمئن كثيرا الى ما يعرض لها في الحياة من احداث وأمور لانها تعلم ان الله يدير فلك الكون على وجه حكيم وخطة سليمة ..

وفي هذا الحديث علاج حاسم لأدواء القلق والجزع فانها ادواء قاتلة لا دواء لها الا بالاطمئنان الى ان امرا يصيب الرجل ، لا محيص له عنه ، يستوي في ذلك ما يرضي وما يؤذي .

حدود الله ..

في الحديث النبوي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عينان لن تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في حدود الله » .

ليس من الرجولة بكاء الرجل وان كان في البكاء ما يطفىء جمرات كثيرة تتأجج في النفس .. غير ان البكاء عند استشعار الخشية من الله فوق كل معنى آخر مما يهم الناس ان يبكوا له ويذرفوا دموعهم من أجله ..

ان الدمعات التي تنزل من العين خشية من الله لتغسل ادرانا كثيرة تعلق بالقلب وهي فوق ذلك ميثاق يواثق به العبد ربه ان يكون بمقتضاه عبدا صادق العقيدة حميد النهج والخطة .. ومن أجل ذلك كان لمثل هذه العين ما كان عند الله من حسن المثوبة وكريم الجزاء فما تمسها النار يوم القيامة ..

لقد تكذب العين في كل شيء إلا في الدمعة النازلة من آماقها خوفا من الله واستشعارا لعظمته وسلطانه ..

اما العيون التي باتت تحرس في حدود الله فهي ثانية اثنتين في موقعها من لطف الله وحسن مكافأته فما كان لهذه وتلك ان تكونا غرضا من أغراض النار .

ولا تسرفوا ..

قال الله تعالى « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » .

تشير هذه الاية الى ان هناك قواعد اساسية ينظر اليها عند

تطبيق الاحكام الخاصة ، وبذلك تظل للعموميات عمومياتها دون ان تفقد منها شيئا أو بعض شيء ..

فان آيات الصيام اباحت للصائم الاكل والشرب في الليل ، واعترفت له بذلك اعترافا صريحا ، وجعلت الاحاديث النبوية ساعة فطره من ساعات فرحه الغامر .. ولكن هذه الاباحة الصريحة محدودة بحدود القاعدة الاساسية التي تمنع الاسراف في الاكل والشرب منعا باتا ..

وكذلك يقال عند ملاحظة الآية الكريمة القائلة :

« قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » فانّ حكم القاعدة التي تمنع الاسراف في الاكل والشرب تظل هي مدار المراجعة في فهم المجال التطبيقي لآية الطيبات من الرزق هذه ..

اذن لا يحلّ لصائم ان يستغل سعة منطوق النص فيبني عليه سعة مفهومه ، فيروح يحسب ان الاسراف في الطعام مباح في رمضان بحجة ان الله اذن للصائمين ان يأكلوا ويشربوا ليلهم كله .

الرباط في الثغور ..

جاء في الحديث النبوي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط ساعة في سبيل الله يعدل عبادة ستين سنة » .

الرباط هو لزوم الثغور ذياداً عن دار الاسلام وحماية لثغور المسلمين ومن على ارضهم من الناس ..

ومن الامر البديهي ان الثغور وهي اهم مواقع الحدود اذا كانت مكشوفة غير محروسة ، ومهملة غير معجمة بالسلاح كان ذلك اطماعا للعدوّ ان يغزو البلاد ويجتاح الارضين ..

ويتأتى من هذا ان تنهار الامة التي تغزى في عقر دارها ثم لا تملك ان تصد من يتطاول عليها ويطمع فيها ..

ومن اجل ذلك اكد الاسلام مسألة المرابطة على ثغور البلاد، وجعل من يرابط هنالك مثاباً مأجوراً عند الله اجراً يعدل ما يحصل عليه العبّاد من أجر عظيم ولو طال امد عبادتهم ستين عاما ..

والعلة في هذا التفضيل ظاهرة بينة هي ان المرابط على ثغور المسلمين يترك وراء مرابطته من النتائج والآثار ما يستحق الاجلال والذكر الحميد فهو يحمي البيضة ويحقن دم الامة ويصون الاعراض ويذود عن البلاد ان يطأ ارضها معتد او غاصب ..

ان العبادة فضيلة لها قيمتها ومكانتها عند الله ولها اجرها وثوابها ، ولكن المرابطة على الثغور اعلى عند الله شأنا ومكانة ومقاما ، من حيث ما يتحصل بها من رد العادية وصد الغائلة وصيانة شرف الامة .. وفي هذا حقا ما يستحق ان يعدل رباط ساعة عبادة ستين عاما ..

الشيخ جلال الحنفي

الفهرست

عنوان الكلمة	رقم الصفحة
رمضان ظرف لا يسع غيره ..	٣
التعبير بلغة الضمير ..	٤
كلمة في النظام واللانظام ..	٥
إكتشاف اعماق النفس ..	٥
لقاح الارادة ..	٦
الصوم والصبر ..	٧
الصوم ورباطة الجأش ..	٨

التشاؤم والتفاؤل .. ٩
لعلَّ في آيات الصّيام .. ٩
الصدق مع النفس .. ١٠
عبادة الجوارح .. ١١
الحمد لله .. ١٢
التولي يوم الزحف .. ١٣
القيام .. ١٤
يأكل حشفاً يوم القيامة .. ١٥
الكلمة الطيّبة صدقة .. ١٦
الصورة القلمية للمسلم .. ١٧
اصلاح ذات البين .. ١٨
الصدقة والخطيئة .. ١٩
حدود الله .. ٢٠
ولا تقف ما ليس لك به علم .. ٢٠
الإثم .. ٢١
ان لصاحب الحقّ مقالا .. ٢٢
الاّ ما قد قيل للرسل من قبلك .. ٢٣
قل آمنت بالله ثم استقم .. ٢٤
وأمرت لأعدل بينكم .. ٢٥
درجة الشهادة .. ٢٥
لعلكم تتقون .. ٢٩
وأن تصوموا خير لكم .. ٢٩
ولعلكم تشكرون .. ٣٠
فدية المطيقين .. ٣١
وكلوا واشربوا .. ٣٢
كما كتب على الذين من قبلكم .. ٣٣
دعوة الداع .. ٣٤
رعاية الجار .. ٣٥
الجار ايضاً .. ٣٥
حقيقة الايمان .. ٣٦
حدود الله .. ٣٧
ولا تسرفوا .. ٣٧
الرباط في الثغور .. ٣٨

الشيخ جلال الحنفي

رمضانيّات و شهر رمضان

١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م
بغداد

يطلب من جامع الخلفاء ـ شارع الخلفاء ـ بغداد

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(٢٨٠) لسنة ١٩٨٩

دار الحرية للطباعة ـ بغداد